



عُوسَمَانُ الْوَأَقِعِ بَيْنَ فِكْرَةِ الرِّبَاطِ وَتَجْرِبَةِ فَكَاسِ

مناخ ظهور عوسمان

الرقص الشعبي المغربي الجماعي الاصيل، وكذلك الاغنية يكونان مادة خام لبلورة الفنون عامه والاغنية خاصة . . . فقد حاول بنس الجانب من ذوى الكفاءة الثقافية الموسيقية محاولات عساهم يدمجون في انتاجهم عناصر الرقص المغربي الاصيل، ولكنهم في الاخير يعترفون بما يشبه اعتراف المطرب الفرنسي «جاك بريل» باستحالة تقليد الاغاني المغربية الاصيل (1) والى جانب هذا المغنى نجد «ماستر وفتس» مراسل التلفزة السويدية في مهرجان مراكش للفنون الشعبية — يؤكد انه عاش اغلب السنوات في البندان الاوربية ولكن ما يشاهده من فنون الرقص الشعبي المغربي، يعد حادثا بانسبة للاروبى القادم الى المغرب ، وما وجده هذا المراسل من الناحية الفنية، كان رائعا وعظيما على حد تعبيره — ولم يشاهد شيئا يشبهه من قبل، ويؤكد ان في اوربا تظاهرات فنية ولكنها ليست من نفس النوع (2) ان هذا الرقص يقام في كل قرية بسهولة واتقان — رغم صعوبته -

اقول ان ذلك يعتبره النجم السينمائى «جاك كلود ريبالى» دروسا في النظام والاحترام يلقتها أولئك الهواة (3) لكثير من النجوم .
والان . . . فهذه الاعترافات تشير الى ان الذين حاولوا استغلال اصالة الرقص المغربي لا تعوزهم التقنية والخبرة والمال، ولكن مشكلهم الاساسى كونهم يسمعون موسيقى المجتمع المغربي بأذن مجتمع آخر . . . ولقد حاول «براين جونسن» قيثارى مجموعة «الرولينك ستون» اقتباس موسيقى جهجوكا — فى القصر الكبير — فأخرج اسطوانة اثار ضجة فى الغرب (4) ولكن سرعان ما اتضح ان تلك الاغنية تقليد من اذن اوربية للايقاع المغربى الذى يصعب على غير المغاربة الاشراق والابداع من خلاله بسهولة. فلنقل اذن ان موسيقى الرقص الشعبى المغربى الجماعى الاصيل مادة خام لنهضة موسيقية حينما تسمعها اذن مغربية مزودة بثقافة موسيقية ضرورية وتجربة ميدانية كافية . . . وهذا ما وعته مجموعة « عوسمان » الفنية للموسقى الامازيغية التى بدأت (5) محاولاتها منذ سنوات فبقيت تعمل باستمرار حتى فوجئ الجمهور فى سنة 1976 م * بأسطوانتين من (45) لغة، والى اليوم وافراد المجموعة يبحثون عن الاصلة فى الشعر والموسيقى، يؤدونها فى اغانيهم باللات حديثة مثل الارغن والقيتارة الكهربائية والقيتارة العادية . . . الكمان والاكورديون ، الى جانب آلات تقليدية مثل «الترايب

- (1) الفنون (مجلة) السنة الاولى عدد 7 و 8 ص 113
- (2) الفنون (مجلة) السنة الاولى عدد 7 و 8 ص 107
- (3) الرقص عند الامازيغ ليس هواية وليس احترافا بل من ضروريات الحياة .
- (4) هناك محاولة ساهم فيها احد الفنانين المغاربة لم اتمكن من التاكيد من اسمه وعمله بالضبط .
- (5) اتصد المجموعة حين اكتمل عناصرها باسم عوسمان : اما الفكرة فتعود الى اواخر الستينات كما سنرى فى الصفحات الموالية .

* 76 / 1 / 71

والناقوس» كما سلموا دور الايقاع لالة «البامبو الافريقي» ويعللون هذا بأنه لا يعنى أنهم يقلدون الموسيقى الغربية باستعمالهم لتلك الآلات، بل هو حل تغني لمشكلة تقنية (1) لان الآلات العتيقة مثل ءامزاد-الرباب-محدودة فيما تعطيه من أنغام ، على عكس الذى عوضوا به آلة ءامزاد - الرباب - ، كما لايعنى هذا أنهم اقتصوا فى اغنية تامازيغت الجنوب وحدها بل اظهروا يوم الخميس 2 فبراير 1977 أنهم استمروا فى التزام تطبيق مشروعهم الهادف الى خدمة الاغنية الامازيغية بكل لهجاتها (2) وذلك حينما سجلوا زوال ذلك اليوم أربعة أغاني للتلفزة المغربية الاولى بعنوان «تاكنداوت» - النفاق - كلماتها قديمة والحانها تستمد من الالحان الاصلية والاغنية الثانية «ياغاغ عيريفى» «ظمننا» كلماتها من الشعر الحديث وموسيقاها خضعت للتقنية الحديثة كذلك، والاغنية الثانية للمرحوم بوبكر انشاد غنوها دون التصرف فى كلماتها مع المحافظة على لحنها الاساسى (3) اى قاموا فقط باعادة تسجيلها - ولكن - بالاتهم لرغبة الكثيرين ممن يعتبرونها من بين روائع الغزل عند « الروايس » والاغنية الرابعة « دونيت » - الحياة - بتامازيغت الوسط، والمتتبع لانتاج مجموعة عوسمان سيلاحظ أن أغانيهم تزداد أصالة من انتاج لآخر . . . مما أهلهم لتقديم أعمال فى مستوى الاغنية الشعبية الحديثة يومى 5 و 6 فبراير فى قاعة « الاولمبيا » بباريس، وفى «قصر الشتاء» بمدينة ليون الفرنسية، وبعد ذلك سهرة فى قاعة «الفنون انجلمية» فى العاصمة البلجيكية حيث فوجئ الاوربيون بالآلات الحديثة وتوظيف جديد للكلمة الموروثة فى أنغام أصيلة جعلت المهتمين بالموسيقى يتأكدون من أن الموسيقى الشعبية الافريقية عموما والمغربية خصوصا قد شرعت فى تأصيل قواعدها وتطوير وسائلها واخراجها من اقليميتها الى افق انساني اوسع (4)، مع الايمان بأن الموسيقى الشعبية فن له اصوله وقواعده ومقاماته ودوره، ونحن اذا تنبهنا الى هذه الموسيقى واعتبرناها من التراث الشعبى الموسيقى نجد لها قواعدها وتاريخها واصولها ومقاماتها وآلاتها زيادة على مالها من دور وعشاق . . .

وليس فقط كونها موجة أو ظاهرة فنية لا تعتمد الا الموهبة ولا تهدف الا الى الريح المادى ولو على حساب الاسفاق الفنى . . . وهنا أشير الى أن مجموعة «عوسمان» سجلت سهرة الاولمبيا تسجيلا حيا وكان من المنتظر

- (1) هذا ما أدلت به المجموعة لجريدة البيان : مارس 1977
- (2) سبق لهم أن ذكروا مشروعهم فى مقابلة تلفزيونية - مارس 1977 كما نشرت جريدة المحرر مقالا عن محاولات هذه المجموعة فى عدد يوم 2 يونيو 1976.
- (3) وباليتم غنوها بالآلات الاصلية الشعبية . بل أرى ضرورة استعمال الآلات الاصلية
- (4) مراسلة من باريس لوكالة المغرب العربى للانباء 5 فبراير 1977

نشرها في اسطوانة 33 لفة . . غير ان المجموعة عدلت عن الفكرة لسبب واحد، اذ اقتنع افراد المجموعة بكون تلك الاغاني المسجلة في الاولمبيا مازالت تفتقر الى كثير من العناصر الفنية ، سواء في تقنية التسجيل او في تقنية التوزيع الموسيقى والاداء لتلك الاغاني ذاتها . . وهكذا وقفوا امام اختيارين، اولهما الاسراع كي تنشر سهرة الاولمبيا كما هو الشأن عند كل من وافته فرصة «الاولمبيا» طلبا للدعاية ورواج الانتاج (1) . . غير ان عوسمان عدلوا عن هذا كله وضخوا بمجهود سنتين، عازمين على تناول نفس الاغاني بالتنقيح والدراسة والتدريب . . وهكذا استمر اختفاء المجموعة زهاء سنة. حتى سجلوا في مارس 1978 مجهودهم الذي كاد ينال رضاهم الفني ، ولاول مرة مع الصوت النسوي .

فكرة الرباط وتجربة فاس .

انطلاقا من الايمان بفكرة تطوير الاغنية الامازيغية ، قام بعض الشبان في مدينة الرباط بتجارب موسيقية ، منذ سنة 1967 م ، وكان منهم على المومني الذي يعزف القيثارة ويغني ، كما يساعده في العزف ابراهيم مدران بالقيثارة كذلك ، اما سعيد بيجعاض فيقوم بالعزف معهم على آلة الاكورديون احيانا والكمان احيانا اخرى ، وحسب الاغاني التي يتمرنون عليها ، ومع هؤلاء نجد ، على امجوز يشارك بالآلة «لوطار» اما الكلمات فيضعها كل من ابراهيم اخياط ، وعلى ازيكو ، وعلى المومن ، احمد الغزالي وبعد تقدمهم في تنقيح اغانيهم ، قاموا بعرض تجربتهم - اول مرة - امام جمهور حفلة المدرسة المحمدية للمهندسين بالرباط ، فنالوا اعجاب الطلبة من مختلف المناطق والاقاليم ، وقد سجلوا هذه السهرة في شريط اسمعوه لطلبة كلية الاداب بفاس ، لذلك شرع ثلاثي طلابي في محاولة اغناء فكرة وتجربة مجموعة الرباط ، وكان هذا الثلاثي يتكون من محمد المدلاوي بعزفه على القيثارة ، واحمد بزيد بنقره البندير او الناغوس الى جانب الغناء ووضع الكلمات . وعمر اميرير ينقر البندير كما يغني ويضع الكلمات وقد استمرت تجربتهم حتى تمكنوا من احياء امسية بالحي الجامعي لكلية الاداب بفاس ، فقدموا نماذج غنائهم للطلبة الذين فوجئوا بطرافة التجربة .

واذا تذكرنا ان جل اعضاء مجموعتي الرباط وفاس كانوا طلبة على اهبه التخرج من كلياتهم ، الى جانب كونهم يعتمدون في محاولاتهم تلك على الموهبة فقط ، اتقول اذا تذكرنا ذلك علمنا سبب عدم اقدمهم على تسجيل

(1) لايقصدون اصحاب الانتاج الجيد .

محاولتهم في الاسطوانات وبالفعل لم تحل سنة 1974 حتى تم تخرج
جل أعضاء المجموعتين كما تم تعيينهم في مدن متباعدة وفي ميادين مختلفة ،
غير أن الشريط المسجل بقى محتفظا به في الرباط ، لحرصهم على الاستمرار
في العمل الجدى من اجل انقاذ مجهود موسيقى حقيقته المحاولات والمواهب ،
ولما كان ايمان كل الاعضاء ينطلق اساسا من ضرورة تطوير الاغنية
الامازيغية لا بالموهبة وحدها ، بل بالدراسة الموسيقية والمنهج العلمى ، أقول
انطلاقا من ذلك المبدأ ، تم الاتصال ب: عمورى امبارك ، وبلعيد العكاف ،
ومعروفى طارق . وسعيد بيجعاض وسعيد بوتروفين ، واليزيد قرفى ، ليكون
الجميع مجموعة موسيقية سميت اول الامر بمجموعة «ياه» ، - نعم -
وتسلم أفرادها الشريط ، ليطوروه وينقحوه . . . فبدأت المشاكل ،
وتلاحقت الازمات وتتابعت المضايقات الى ان حل يوم
29 / 3 / 1975 حيث قدمت مجموعة «ياه» أولى سهراتها في الرباط ،
منحدية كل العراقل والمتبطات التى استهدفتها منذ بداية اول الحفل . .
ومع ذلك أصروا على تقديم انتاجهم الذى استهوى الجمهور ، ذلك الجمهور
الذى كاد بدوره يذهب ضحية المشرفين على السهرة الذين حاولوا فى
البداية تحطيم معنوية مجموعة ياه ، ، واذكر هنا انه منذ الاغنية الاولى (1)
لم يهدا حماس الجمهور حتى بدأت تباشير الفجر تلوح فى الافاق ، فتقدم الرجال
والنساء كهولا وشبانا بعضهم يشجع المجموعة والبعض الاخر يلتقط معهم
صورا تذكارية ، فى حين يلتمس الآخرون التوقيعات ، وكان الكل يستفسر عن
اسم هذه المجموعة الجديدة ، فاتضح ان اسم «ياه» لم ينتبه اليه الجمهور
رغم تكراره واعادته مرارا خلال تقديم كل اغنية اغنية ، لذلك تقرر استبدال
اسم «ياه» باسم : «عوسمان» - البرق - وبذلك دخلت المجموعة الى
تاريخ الاغنية بتسجيلها اول اغانيها «تاكنداوت» مع «تيلاس» ثم «ياغاغ
عيريفى» مع «مايونا غاساد» وذلك سنة 1976 م

(1) تاخرت السهرة - نتيجة العراقل - اربع ساعات ، فلم تبدأ الا
فى الساعة : 23 .

ميلاد وقبائل أعضاء موسمان

- (1) سعيد بيجعاض : من مواليد 1949 في مدينة أكادير ، وهو ينتمي لقبيلة : آيت واسو ، — دائرة آيت باها —
 - (2) طارق المعروفى ، من مواليد 20 / 12 / 1950 بمدينة الرباط وينتمي الى عائلة المعروفيين ب «بن أحمد»
 - (3) عموري أمبارك : من مواليد 1951 بقرية عيمزغالن في قبيلة «عيركيتن» — دائرة تارودانت —
 - (4) بلعيد العكاف : ولديوم 8 يوليوز 1952 بمدينة الرباط وهو ينتمي لقبيلة «عونزوط» — الوالد — وقبيلة «ماست» — الوالدة —
 - (5) اليزيد قرقي : ولد يوم 3 / 6 / 1953 ب : أكادير وهو من قرية «عيمزوغن» قبيلة «آيت عامر»
 - (6) سعيد بوتروفين 9 غشت 1953 بتزنيت وهو من قرية «كوزمت» قبيلة «عيمتوكا» — دائرة عيمي ن تانوت —
- وهؤلاء الافراد أنفسهم هم الذين سجلوا اغاني ربيع 1978 مع ادخال الصوت النسوي



(2) طارق المعروفى

(1) سعيد بيجعاض



(4) بلعيد العكاف



(3) عمورى امبارك



(6) سعيد بوتروفين



(5) اليزيد قرفى